

يهود المغرب: الوضع الاجتماعي والتشريعي

عبد السلام شرمات

باحث مغربي



قسم الدراسات الدينية

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث بالدرس جانبا من حياة اليهود في المغرب، بوصفها طائفة قدمت إلى المغرب عبر مجموعتين؛ قدمت الأولى مع رحلات الفنيقين، وشكلت مجموعة سميت باليهود المحليين أو التوشفيم، وقدمت المجموعة الثانية من الأندلس إثر الطرد المسيحي عام 1492، فشكلت مجموعة سميت باليهود المهرجية أو الميكوراشيم، وهكذا شكلت المجموعتان طائفة عاشت حياة خاصة في تقاليدها الاجتماعية وعاداتها التي تكاد تشترك في بعضها مع المسلمين، يسيرها مجلس يهودي يسمى مجلس الطائفة "همعمد"، وهو مجلس يتبع أحوال الطائفة وشؤونها الخاصة وال العامة، وفق فتاوى ومراسيم لا تخرج عن إطار الشريعة اليهودية "الهلوخة".

1- الطائفة اليهودية: مجموعتان عرقيتان

تكونت الطائفة اليهودية بالمغرب من مجموعتين إثنتين؛ تسمى الأولى بالتوفيف، وهي مجموعة تتكون من البلديين، ويعود أصلها إلى زمن تاريخي ارتبط بمجيء الفينيقين إلى بلاد المغرب، وتسمى الثانية بالميكرشيم، وهي مجموعة تتكون من المهجّرين، وصلت إلى بلاد المغرب مع تهجير اليهود من الأندلس سنة 1492م. فقد ورد في كتاب "كرم حمر" لصاحبـه أبراـهـام انـقاـوا، الاسمـ الخـاصـ لـكـلـ مـجـمـوعـةـ، حيثـ حـملـتـ الأولىـ اسمـ "قـهـلـ قـدوـشـ هـتوـشـفـيمـ"؛ أيـ الجـمـاعـةـ المـقـدـسـةـ الـبـلـدـيـةـ، وـحملـتـ المـجـمـوعـةـ الثـانـيـةـ اسمـ "قـهـلـ قـدوـشـ هـمـكـورـشـيمـ"؛ أيـ الجـمـاعـةـ المـقـدـسـةـ الـمـهـجـرـةـ.

وعاشت المجموعتان جنبا إلى جنب، بالرغم مما حصل بينهما من اختلاف في الأصل واللغة، وفي المفاهيم الاجتماعية والأخلاقية، وفي المستوى الثقافي والديني؛ فالمجموعتان العرقيتان – يقول حايم الزعفراني - تختلفان أصلا ولغة، "كما يختلف مستواهما الثقافي، وتختلف طقوسهما، بل أكثر من ذلك، مفاهيمهما الاجتماعية والأخلاقية. ومع ذلك عاشا جنبا إلى جنب، وكل منهما مؤسساتهما المتميزة"¹.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف، فقد استطاع العنصر الأندلسي المهجـر أن يؤثـر بشـكل تـدرـيجـي على اليـهـودـ الـبـلـدـيـنـ فـيـ الأـنـشـطـةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ وـالـجـوـانـبـ التـشـرـيعـيـةـ.

2- الوضع الاجتماعي:

أ- الملاح:

تقتضي ملامسة الوضع الاجتماعي لليهود المغرب ضرورة الوقوف عند الملاح بوصفـهـ الحـيـ السـكـنـيـ الذيـ أقامـ فيهـ اليـهـودـ فيـ عـدـةـ مـدـنـ مـغـرـبـيـةـ، وـهـوـ حـيـ عـنـيـ بالـبـحـثـ وـالـدـرـسـ فـيـ كـتـابـاتـ باـحـثـينـ يـهـودـ وـغـيرـ يـهـودـ. فقدـ ذـهـبـ "أنـدـريـهـ شـوـرـاقـيـ"ـ إـلـىـ أـنـ استـعـمـالـ كـلـمـةـ مـلـاحـ، وـرـدـ فـيـ رسـالـةـ مـكـتـوـبـةـ بـالـيـهـودـيـةـ الـعـرـبـيـةـ، يـعـودـ تـارـيـخـهاـ إـلـىـ سـنـةـ 1541ـمـ، وـهـيـ كـلـمـةـ دـلـتـ عـلـىـ الحـيـ الـيـهـودـيـ الذـيـ عـاـشـ فـيـ الـيـهـودـ بـالـمـغـرـبـ²ـ، وـذـكـرـ الـبـاحـثـ نـفـسـهـ بـالـتـوـارـيـخـ التـيـ شـيـدـتـ فـيـهاـ بـعـضـ الـمـلـاحـاتـ، وـمـنـهـاـ: مـلـاحـ فـاسـ عـامـ 1432ـمـ، وـمـلـاحـ مـراـكـشـ عـامـ 1557ـ، وـمـلـاحـ مـكـنـاسـ عـامـ 1682ـمـ. أـمـاـ مـلـاحـاتـ سـلاـ وـالـرـبـاطـ وـتـطـوانـ وـالـصـوـيرـةـ، فـيـعـودـ تـأـسـيـسـهـاـ إـلـىـ الـقـرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ.

¹- حـاـيـمـ الزـعـفـرـانـيـ، أـلـفـ سـنـةـ مـنـ حـيـةـ الـيـهـودـ بـالـمـغـرـبـ، تـرـجـمـةـ أـحـمـدـ شـحـلـانـ وـعـبدـ الغـنـيـ أـبـوـ العـزـمـ، الدـارـ الـبـيـضاـءـ، الطـبـعـةـ الـأـوـلـىـ 1986ـ، صـ 123ـ

²- CHOURAQUI-A, Histoire des juifs en Afrique du nord, nouvelle édition, 1987, p. 141

وعرف "شمعون ليفي" الملاح بأنه حيّ يهودي مغلق، محاط بأسوار، وخاضع لجهاز إداري داخلي، يرعاه مثل السلطة، شيخ اليهود "نكيد"، ويعود تشييد أول ملاح في المغرب - يضيف الباحث - إلى القرن الرابع عشر بفاس، ولما نقل السعديون العاصمة إلى مراكش في القرن السادس عشر، جمع "عبد الله الغالب بالله" حوالي ستة آلاف يهودي، فشيد لهم حيا سماه "الملاح"، وفيما بعد أنشأ³ "مولاي سليمان" ملاحمات الرباط وسلا⁴.

وفي وصفه لملاح فاس، أوضح "سماش" أن اليهود سكنوا حيا خاصا بفاس، يسمى الملاح، ويكون هذا الحي من عشرة شوارع، ويضم مئتين وخمس وثلاثين منزلا.⁵

ويعيش اليهود داخل الملاح تحت رقابة شديدة حافظا على الأخلاق الطيبة، ونقاوة الحياة الزوجية والعائلية، وكل من خرج عن هذه القاعدة، فإنه يعرض للعقاب من طرف مجلس الطائفة "همعماد"؛ فقد حرص هذا الأخير على رعاية العلاقات الأخلاقية تجنباً للوقوع في الرذيلة والانحلال الخلقي، حيث عمل على منع بيع المشروبات الكحولية لغير اليهود، كما منع، بسبب الركود الاقتصادي وارتفاع الضرائب، التحليل بأنواع الحلي والتزيين بكرام المجوهرات، وأدان وجبات البذخ التي تقدم في المناسبات العائلية، كل ذلك بغية الحد من ضياع الأموال في أشياء لا تفي بالصالحة العامة للطائفة.

وعوماً، فقد أجمع عدد من الدارسين أن اليهود أقاموا في ملاحمات المدن بنسبة كبيرة إذا ما قورنا باليهود الذين أقاموا في القرى، والسبب راجع إلى الهجرة الداخلية المتواترة من القرى إلى المدن.

ويجدر التنبيه إلى أن الدراسة التي نروم الاشتغال عليها لا تقف عند حد التعريف بالملاح الذي أقام فيه اليهود، وإنما نسعى إلى البحث في العلاقات الاجتماعية والتشريعية المنظمة للملاح وما صاحب ذلك من عادات وتقاليد سادت فيه.

بـ الزواج:

تحكم الزواج اليهودي تقاليد اجتماعية ودينية عده، وجب على الزوج والزوجة الخضوع لها واحترامها، "كي يبارك الزواج بالمباركة الزوجية أولاً، وبالصيغة الشعائرية ثانياً، وهما مظهران لاحتفال شعائري واحد،

³- أنشأ مولاي سليمان ملاحمات الربط وسلا عام 1808م

⁴- SIMON Levy, Hara et Mellah les mots, l'histoire...., Histoire et linguistique n 20, series 2,colloques et seminaires, univ Med V, Pub de fac des lettres..., rabat, 1992

⁵- SEMACH YD, une chronique juive de fes, Hesperis T. 5, 1925, P. 37



يكرسان رسمياً الاتحاد الشرعي والقانوني للزوجين، ويتوافق ذلك بما يقدمه الخطيب لخطبته من قطع ندية أو شيء ذي قيمة⁶. والوالد هو من يزوج أولاده اعتباراً لسلطته عليهم، وتبعاً لما جاء في التوراة حول زواج إسحاق. وعادة ما يتم تزويج الولد ابتداء من السنة الثالثة عشرة ويوم. أما البنت فيتم تزويجها بدءاً من السنة الثانية عشرة وستة أشهر، وعندما يكون السن غير معروف، فإن بعض العلامات الجسدية هي التي تحدد سن البلوغ عند الولد أو البنت⁷ ولا يُعد اليهودي متزوجاً - طبقاً للفصل الثالث من القانون الرببي لابن هاعيزر - إلا بعد كتابة عقد الزواج وتسلیم المهر⁸، كما أن الزواج لا يعد زواجاً صالحاماً لم يحضر بعض الربيبين المعينين من طرف المجلس الجماعي أو بحضور عشرة من اليهود، ومن خلاف هذا، فقد يعرض للعقاب، على الرغم من موافقة الوالدين، ولا يتم الزواج إلا تبعاً لشروط التقنه "الفتوى الجماعية" رقم 1 المعلن عنها في عام 5254/1494م، والتقنه رقم 34، المعلن عنها في 5352/1592م.⁹

ولى جانب الزواج، والذي يعد في السياق الثقافي اليهودي، مصاحباً لعدد من الواجبات الهدافة إلى إبعاد الشر عن الزوجين وتحقيق السعادة لهما، فإن الطلاق لا يكون اختياراً في كل الحالات، ولكنه إجبار كذلك، إذ إنّ الديانيم/ "القضاة" يفرضون على الزوج تطليق زوجته في حالة خيانتها له. وفي حالات أخرى غير الخيانة، فإن الزوج، عندما يطلق، يرد لزوجته قيمة المهر، وأحياناً قد تدعى المرأة أي عيب جسمي أو عقلي تتسبّبه لزوجها بغية الانفصال عنه، ويشير بعض الدارسين أن الطلاق في سلا كان قليلاً، لأنّ ثمن الزواج كان مرتفعاً مقارنة بالزواج في فاس ومكناس¹⁰.

ويمكن حصر حالات الطلاق في الأسباب التالية:

- ✓ الخيانة الزوجية
- ✓ زواج كohen من امرأة مطلقة أو غير عازبة
- ✓ العيب أو العاهة أو العقم
- ✓ سفر الزوج
- ✓ الزواج بين الآباء والبنات والأبناء والأمهات

⁶- حايم الزعفراني، المرجع نفسه، ص 78

⁷- MALKA Elie, Essai sur la condition juridique de la femme juive au Maroc, librairie generale de droit, PARIS V, 1952, p. 24

⁸- MALKA Elie, la constitution du douaire par contrat du mariage, Revue Marocaine de droit, mai, 1952, p.209

⁹- LAREDO Abraham, Les Taquanots des juifs expulses de castile au Maroc, imp Fontana, casa, 1953, 13

¹⁰- Tadjouri R, Le mariage juif a sale, Hesperis, III, 1923, p. 408

أما في حالة وفاة الزوج، فإنه طبقاً لأوامر التوراة، يفرض على أخي المتوفى أن يتزوج زوجة أخيه، إذا لم يترك ذرية، وهو ما أسماه بعض الدارسين بزواج السلفة.

وعلى مستوى الإرث، فإنه لا يرث من اليهودي إلا اليهودي، فالابن من امرأة غير يهودية لا يرث من أبيه، بينما الطفل غير الشرعي له الحق في الإرث كالطفل الشرعي. أما المولود البكر، فله حقان في الإرث، ويرث الزوج فقط من زوجته. أما البنت المتزوجة، فلا ترث من ممتلكات والدها، وتحرم الأرملة أيضاً من الميراث.¹¹

وذكر "إيلي مالكا" أن الإرث في النظام القشتالي، يوزع إلى قسمين متساوين؛ الأول للمرأة الحية، والثاني للأبناء الأب المتوفى، ويتم تقسيم التركة بين الأبناء والبنات بالتساوي، ما عدا ابن الأكبر، فإنه يحصل على الضعف. أما البنات المتزوجات أو الأرامل، فإنهن محرومات من الإرث، وإذا لم تكن ذرية، فإن المرأة تأخذ الثالث، ويبقى الثنان لورثة الزوج. وفي حال زواج السلفة، فإن الممتلكات تحول إلى الأخ الأكبر، إذا تزوج زوجة أخيه المتوفى. أما إذا توفت الزوجة، فإن الأب يوزع التركة مع الأبناء إلى قسمين متساوين، وتحصل البنات على حق مواز لحقوق إخوانهم، عدا المتزوجات أو الأرامل، فإنهن محرومات من الإرث، وإذا لم يكن بين الزوج والزوجة أولاد، فإن الزوج يقسم الإرث مع ورثة الزوجة مباشرة.¹²

جـ- التربية والتعليم:

يهيمن على الأسرة اليهودية المغربية النظام الأبوي؛ فال الأب هو الشخص الرئيس في الأسرة، يملك كل السلطة، ومن واجبه تربية أولاده وتعليمهم منذ الصغر، إذ يبدأ الطفل تعليمه منذ السن الثالثة من عمره في الظروف العادية، وحتى السن الرشد الدينية "13 سنة"، حيث يتعلم الطفل في الحدر وتلمود توراه¹³ حروف الكتابة والقراءة، ثم حفظ نصوص من التوراة مع الصلوات المتعددة.

ويتعمق التلميذ في اليشيف أو التعليم العالي في دراسة التلمود والتوراة، ويقرأ الكتبات الأخرى، مثل المدرشيم والزوهرار والتفاسير المتعددة، وما أن يبلغ التلميذ العقد الثاني من عمره حتى يغادر التدريس، ليلتحق بالأعمال المهنية التي كان يزاولها والده، على الرغم من إجبارية استمرارية التعليم اليهودي في رابطة الاتحاد الإسرائيلي، والتي كانت تهدف إلى هجوم الأباريزبيدين؛ فبعد تأسيس أول مدرسة في تطوان سنة

¹¹- BENSIMON D, Evolution du judaïsme Marocain, Paris, Mouton, la haye, 1968, p. 73

¹²- MALKA Elie, Ibbid, pp. 100-102

¹³- الحدر وتلمود توراه، هي مؤسسات تهتم بالتعليم اليهودي الديني، والحدر هو ما يشيء الكتاب في المجتمع الإسلامي.

1862م، حرص مدرّسو الرابطة على إكساب تلاميذهم مبادئ اللغة الفرنسية، والرياضيات، وتعليمهم بعض المهن اليدوية، وإن لم تحظ مثل هذه الأنشطة بالقبول لدى قادة الطوائف اليهودية الذين آثروا إرسال أولائهم إلى المؤسسات السفرادية وإنجليزية.

عموماً، تمرّ مراحل التعليم اليهودي في المغرب، كما حددتها حاييم الزعفراني، بثلاث مراحل، هي:

- المرحلة الأولى: يتَّعلَّم فيها الطفل من السنة السادسة وإلى السنة العاشرة.
- المرحلة المتوسطة: ينتقل فيها الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين السنة العاشرة والسنة الخامسة عشرة.
- المرحلة الثالثة: يصل فيها اليافعون الذين تتراوح أعمارهم ما بين السنة الخامسة عشرة، والثمانية عشرة، وفيها يتعمقون في الدراسة وتفسير نصوص من التلمود.

كما عرض الباحث للنظام التربوي والتعليمي في "الحيدريم" بالمغرب، مستدلاً بنصوص بعض الربيبين في هذا المنحى، ومن ذلك نص لصول دنان¹⁴ جاء فيه: "في قاعة الدرس يكون التلميذ مقسمين حسب المستويات المختلفة، يبدأ القسم التمهيدي في قراءة الحروف الأبجدية، ثم الصوائت، ثم تركيب الحروف والنقط، وبعد سنتين أو ثلاثة سنوات، يستطيع التلميذ قراءة نص مطبوع بناء على الطرائق البيداعوجية المستعملة في الحيدر، ثم ينتقل إلى القسم الثاني بالعبران "al abran" نسبة للقراءة العبرية، ويبقى فيه مدة سنة كاملة.

وفي المستوى الموالي، يبدأ في دراسة "Te amim" وفيه ينقسم التلميذ إلى مجموعتين، وفي المرحلة الموالية، مرحلة Perus "تفسير النصوص"، يقرأ المعلم قطعة بالعبرية، ويرددها التلميذ ثم يترجمها المعلم إلى العربية ثم يردها التلميذ في دراسة القانون الشفوي".¹⁵

ويرى اليهود أن التربية هي الطريق الصحيح الذي يضمن لفرد مكانته الاجتماعية، إذ يصبح عضواً فعالاً في الجماعة وصالحاً لها، والتربية لا تقف عند حد التعليم، بل للأسرة دور مهم فيها؛ فالطفل يتكون في الأسرة على الأقل بمقدار ما يتعلم ويتربى في المدرسة، ويأتي تأثير المعلم لإتمام التربية التي بدأت وتتابعت في الوسط العائلي، إذ تتحصر مهمته في تعليم التلميذ قراءة التوراة، وهو يتلقى تربيته الأولية في البيت، والأم هي

¹⁴- ينحدر صول بن دنان من عائلة عرقية استقرت بفاس بعد تهجير 1492، تكون تكويناً يهودياً على يد ربيبين مشاهير، وعين قاضياً في ديان بمراكن ثم الصويرة.

¹⁵- ZAFRANI H, Pedagogie juive en terre d'islam, p. 32

التي تلقنها الفضائل الأولية للإحسان واحترام مال الآخر وحب الأرض المقدسة، كما يكتسب الطفل معرفة جيدة بواجبات العبادات عن طريق القدرة بالأباء وممارستهم اليومية¹⁶.

د. العلاقات اليهودية الإسلامية:

اشترك اليهود والمسلمون في بلاد المغرب في مظاهر ثقافية، نسجت بينهم علاقات متينة، امتدت فترات من الزمن؛ فقد عاش اليهودي والمسلم جنبا إلى جنب، يحملان مظاهر ثقافية مشتركة تجلّت في سلوكهما اليومي، إذ يمكن أن يكون المزار الذي يقصده المسلم هو نفسه المزار الذي يقصده اليهودي، ومن خلاله تتجلى مظاهر ثقافتهم المشتركة، بل تمثل توفيقية دينية قد تدهش الناظر "إنهم يهود ومسلمون يرجون معاً الشفاعة والحماية من نفس الأولياء والصالحين، ويقومون بنفس التعبد وبنفس الرموز، ويقدمون نفس الصدقات ويتوسلون بنفس الدعوات ونفس الصلوات، ويعود كل واحد منهم إلى بيته بعد أن زار نفس الوليّ غنياً في خياله بكل الخيرات التي كان يرتقبها من توقف زيارته هاته مزوداً على كل حال بمزيد من الإيمان والأمال".¹⁷

فالمسلم واليهودي – بناء على ما تقدم – متقاربان في التفكير وفي العادات، بل إنهم يلتقيان يومياً، فيتحاوران ويتجادلان في عدد من الأمور الدنيوية، بغضّ الطرف عن المعتقد؛ فاليهودي يصادق جاره المسلم ويعاديه، ويحبه ويكرهه، كما أنّ المسلم يصادق جاره اليهودي يحبه ويعاديه بما خلق الله عليه الإنسان، وعلى الرغم من الاضطهادات المحدودة في الزمان والمكان "فإن المجموعتين الإسلامية واليهودية كانتا تلتقيان على درب الحياة، في مجالات العمل والتعامل، بل أحياناً تقاضى أمام نفس القضاة ونفس المحكمين، وكانت أيضاً تلتقي في مجالات أخرى لها ما يميزها، كما في بعض المجالات الفكرية، بل تلتقي المجموعتان في مجالات غيرها تحظى بتوفيقية كاملة، في قضايا الإيمان والمعتقدات الشعبية، وفي عوالم الفنون الشعبية والخرافة"¹⁸؛ فاليهودي المغربي شارك جاره المسلم في الإيمان ببعض الاعتقادات مثل الخوف والعين "عين هارع" والتصديق بالجنون وما إلى ذلك من الوساوس والأمراض، وكانا يعمدان معاً إلى التزود بالتمائم والطلسمات اعتقاداً منهما بإبعاد الأذى الذي قد يلحق بهما، ومن ذلك استعمال الخمسة¹⁹ والتشبير²⁰ وزيارة الأولياء.

¹⁶- حايم الزغفراني، المرجع نفسه، ص 5

¹⁷- حايم الزغفراني، *يهود الأندلس والمغرب*، ج 2، ترجمة أحمد شلحان، مطبعة النجاح الجديدة، 2000، ص 508

¹⁸- حايم الزغفراني، *يهود الأندلس والمغرب*، ص 42

¹⁹- عبارة عن تميمة شائعة وهي عبارة عن يد تحتوي على خمسة أصابع يقصد بها الوقاية من العين الشريرة.

²⁰- وسيلة لإبعاد العين، إذ تأخذ عجوز منديلًا وتشرع في التشبير مع ترديد بعض العبارات.

3- وضع اليهود التشريعي:

أ- مفهوم الشريعة في التراث العربي:

"هلخه" مشتقة من الفعل العربي "هلخ" بمعنى سار، و"الهلخه" تقابلها لفظة الشريعة في الإسلام، وهي السير على الطريق المستقيم واتباع النهج القويم.

وتقوم الشريعة اليهودية المغاربة على اتجاهات؛ أولها مدرسة الفقهاء الأندلسيون القدماء، ومدرسة يوسف كارو، ثم العادات والأعراف القديمة التي أقرّتها المراسيم. وعلى العموم، فإن اليهود المغاربة غالباً ما كانوا في القرن السادس عشر يرجعون إلى علمين مشهورين من أعلام الهلاخا؛ وهما مورام يوسف كارو، ومورام موسى إسرائيٍس، اللهم بعض الحالات التي لا يتعارض فيها المذهبان، أو بعض ما سكت عنه كارو، ويوافق اختيار الربانيين المغاربة. وإلى جانب هذا، يؤمن اليهودي بالحضور الإلهي في حياته اليومية، يقول حاييم الزعفراني: "نلاحظ الحضور الإلهي في الحياة اليومية متجليا في إنجاز كل أمر من الأوامر، وفي كل صلاة من الصلوات، أو تسبحة من التسابيح، وخصوصاً عندما يصبح بعد الصوفى للفعل عماداً للدافع الهلخي/ الشرعي نتيجة لتغفل المذاهب الغنوصية، والأخص "الزوهري" و"القباله"؛ فكل فعل من الأفعال الحادثة طبقاً لهذين المذهبين يهدف إلى الحلول في الذات والحضر الإلهيتين "الشخينة" رهبة ورغبة، ويكون تطبيق هذا الفعل مصحوباً بهذه الصلاة الصوفية التي استوحتها الطقوس من مذهب "القباله" عند إسحاق لوريما وأتباعه بمدرسة صفد. وكان من بينهم كثير من العلماء المغاربة"²¹.

ويجدر التنبيه أن اليهودي يصلّي ثلاث صلوات كبرى في اليوم، وهي: شحريرت/ الصبح، ومنحه/ الظهر، وعرفيت/ المغرب. أما في الليل فيتوجه إلى الله بالابتهال والتضرع.

أما اليوم المفضل عند اليهودي من أيام الأسبوع، فهو يوم السبت "شبت"، حيث يؤدي فيه طقوساً وشعائر متميزة، ومنها الأوامر العشر التي ينبغي القيام بها احتفاء بهذا اليوم، وأولها وجبات السبت المعروفة بـ"المائدة الملكية"، يتحدث حاييم الزعفراني عن هذه المائدة قائلاً: "وتبدأ باعتسال اليدين وإعداد خبزتين لكل وجبة، فتناول الوجبات الثلاث، كما حدتها الطقوس الخاصة بها، فإشعال المصابيح لإنارة المائدة، فمبركة كأس

²¹- حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ص 226

الخمر التي تفتح بها الوجبة، فمدارسة التوراة أثناء الجلوس حول المائدة وإطالة وقت الوجبة، فاغتسال اليدين الأخير، وأخيراً الشكر والحمد، فمباركة وشرب كأس الخمر الأخيرة".²²

بـ- الأدب الهلالي:

عني يهود المغرب بتأليف عدد مهم من الكتابات "الهلالية" التي مسّت كل مجالات الحياة اليهودية العامة والخاصة، و"تلك المتعلقة بالعائلة، وقانون الأحوال الشخصية، والبني الاجتماعية— الاقتصادية للطائفة ونمطها الإداري ومؤسساتها".²³ وتنقسم المؤلفات إلى مجموعات يمكن حصرها في الآتي:

- مجموعات من الناقنوت، جمعت في "سفر هاتقنوت"/ كتاب المراسيم، وضعها مجموعة من الأبحار القشتاليين الذين استقروا بفاس بعد تهجيرهم من الأندلس.
- مجموعات من الفتاوى:
 - مجموعة وضعها يعقوب أبنصور 1673–1752، وتوجد في "مشبط وصدقة".
 - مجموعة وضعها يوسف المليح بن عيوش 1823–، وتوجد في "تفقو شل يوسف".
- منتخبات من القرارات القضائية الموجودة في "برت أبوت" الذي يضم مؤلف إبراهام قرياط ".²⁴

إلى جانب هذا، سطّر اليهود في أدب النوازل إطاراً لحياتهم، البلديون منهم والمهجرون؛ فقد "اهتم الربييون وقادة الطائفة ذات الأصول القشتالية من المكوراشيم أو المهرجين من الأندلس، بمجرد استقرارهم في فاس، بتخصيص رعاياهم بمؤسسات دينية ومدنية مماثلة لتلك التي كانت تنظم حياتهم في الأندلس، وكانت تشريعاتها تختلف اختلافاً بينا عن تلك التي كان يتبعها عادة اليهود التوشفيم أو البلديون ذوي الأصول المغربية، ووحدوا القوانين والمراسيم التي تحكم سير طائفة المهرجين في مدنهم الأصلية، وكانوا يسنون قوانين أخرى جديدة تبعاً لما جد من النوازل، بموافقة مجلس الطائفة واجتماع الرأي في البيعة، وبعد أن يوقع الأبحار وأعيان المجلس على هذه التشريعات، وبعد أن يثنى مؤلفو المحكمة عليها بتوافقهم، وتسجل في سجل المراسيم والأحكام، تصبح ملزمة للجميع بحكم القانون".²⁴

²² حليم الزعفراني، يهود المغرب والأندلس، ج 2، ص 527

²³ حليم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ص 177

²⁴ حليم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ج 1، ص 265

وإذا كانت الشريعة اليهودية، قد اعتمدت على التعاليم والتفاسير والمراسلات القانونية، فإنها مررت عبر ثلاث مراحل تاريخية، نحددها في الآتي:

- مثلت المرحلة الأولى كتابات الفاسي في المشرق وإفريقيا الشمالية.
- بدأت المرحلة الثانية مع صدور كتاب "شناء توراه" لمؤلفه موسى بن ميمون، إضافة إلى المناظرة التي رد فيها أبراهم بن داود على الكتاب سالف الذكر، وانتهت المرحلة مع الفتوى التي وضعها أشير بن يحيل، مع موجز التلمود الذي وضعه ابنه بيعقوب.
- شهد الأدب التشريعي، في المرحلة الثالثة، نتفحاً وتوسعاً كبيرين، ويظهر ذلك في التأليف الرببي، ومنها "طور" و"شولحان عاروخ"/ المائدة المنضوضة.

إضافة إلى ما تقدم، شكلت الفتاوى والمراسيم مادة دسمة في الشريعة اليهودية، حيث لعبت الفتاوى دور الرابط العضوي بين الطوائف اليهودية المشتتة، انطلاقاً من المراسلات القانونية التي كانت تتم بين الطوائف عن طريق المبادلات التجارية والبعثات اليهودية، كما ساهمت الأعراف "المنهاك" في إثراء أدب الفتاوى، فقد عرف الفاسي الأعراف/ منهاك، ليس كفعل تتجاوب معهطبقات الشعبية فقط، ولكن كتفقة يوافق عليها الحكماء وكبار الطائفة، بل هناك من ذهب إلى تصنيف الأعراف كجزء من التوراة.

جـ- مؤلفات هلاخية:

"سفر هاتقنوت/ كتاب المراسيم:

جمع أبراهم انقاوا في الجزء الثاني من كتابه "كرمة الخمر" / "kerem hemer" الصادر في ليفورن سنة 1871، مراسيم/ تاقنوت الربيبين القشتاليين الذين هجروا إلى المغرب من إسبانيا سنة 1492، حيث عمل الربييون منذ استقرارهم بفاس على توحيد المراسيم التي تنظم حياة اليهود المهاجرين، فوضعوا مراسيم بموافقة مجلس الطائفة، وتم تسجيلها في كتاب المراسيم/ سفر هاتقنوت.

"مشبط وصداقه - بيعقوب":

ألف يعقوب أبنصور عدداً هائلاً من الفتاوى التي توزعت في مؤلفات ربيبين مغاربة، ولم يبق منها إلا جزء يسير جمع في الكتاب المذكور.

"توكفل شل يوسف":

ينقسم هذا الكتاب إلى جزأين، طبع في ليفورن، صدر الجزء الأول سنة 1823، وصدر الجزء الثاني سنة 1855، ألفه يوسف الملحق بارعيوش، تضمن الجزء الأول من الكتاب حوالي تسع وخمسين فتوى، وكلها حررت في الرباط ما بين 1802 و 1875.

"بيرت أبوت":

ألف هذا الكتاب أبراهام بن يهودا كورياط، ونشره إلياهو بن أموراك سنة 1862، وتضمن الكتاب عدداً من المراسيم والفتاوي.

"أوريم وتوميم":

يعود تاريخ هذا المؤلف إلى القرن السابع عشر، توجد منه نسختان في فاس بمكتبات أسر السرفاتي وأبنصرور، إضافة إلى نسخة مخطوطة منه توجد في المتحف البريطاني، مسجلة تحت رقم or/6357، خط سطورها شؤول سرورور، وهو من الجيل الثاني من المهجرين إلى فاس، ولد بالمدينة نفسها سنة 1566، وعمل عضواً بمجلس الطائفة سنة 1602، وتوفي سنة 1655. والمخطوط عبارة عن موسوعة قانونية، تقسم إلى بابين؛ تضمن الأول فهرسة أبجديّة لمفاهيم شرعية مشروحة في شولحان عاروخ / المائدة المنضودة، ويشمل الباب الثاني قانون الأحوال الشخصية.

د- نماذج من الفتاوى:

▪ في الزواج:

— "يرفض والد البنت على صهره إبرام عقد الصداق كذا... أمام سلطة قضائية...، وإذا كان الصهر فرداً فظاً، يبقى مبلغ الصداق تحت رحمة المحكمة": كرم حمر / 52 و 55... و 1585 و 1603،

— "حرص صمويل أبنصرور على احترام قاعدة الليفرا، فأرادأخذ زوجة ثانية، زوجة أخيه أبراهام المتوفى، وبموجب الشرط المسجل في عقد الزواج الذي يمنع الزوج منأخذ زوجة ثانية إلا بموافقة الأولى، طلبت زوجته مریم الطلاق، وفرضت دفع مهرها كاماً، وقد وافقت محكمة فاس على طلبها": كرم حمر بتاريخ 1593.

— "حدد مبلغ الزواج الأدنى في مرسوم 1497 "ك ح 17" في عشرين أوقية فضية مقسمة حسب الاستعمال بين الزيادات والهدايا والمهر الشخصي "توفيقية، متاناه، نيدينا". حدد مهر العذراء في سوس في 200 زوز²⁵، ومهر المطلقة في 100 زوز": كرم حمر 17/1497.

▪ في أحوال الطائفة:

— "قليل مما ينبغي، كي لا تنسى التوراة في إسرائيل، قيل: هذه هي الأحكام التي ستطرحها أمامهم... حسب العادة، تعني أمامهم وليس أمام الأمم. لا يوجد أخطر من مخالفة الشريعة المرتكبة من طرف محقرى التوراة، الناصرين لديانة أجنبية... لهذا نحكم بالحيرم ضد كل من أجبر أخيه في الدين أن يمثل أمام محاكم أجنبية أو من ضغط عليه باستعمال حماية صاحب مقام في الدولة... ولا يترك اليهودي الذي يحتفظ بدين، قدم في عقد محرر أمام محكمة مدنية، بين يدي مشرك، ولا يجعل له شأنًا أمام قضاة الأمم، إلا إذا كان المدين فردا بدون حباء، يرفض أن يخضع لقانون إسرائيل": كرم حمر، مرسوم بتاريخ 1603.

— "كل من وشى بأخيه في الدين والكتاب بين يدي مشرك... على الواشي الحرص على إصلاح الأذى الذي سببه لضحيته، وعليه أن يدفع له كل المبالغ التي أنفقها، غرامات، عطايا المفسدين حتى يحصل على حريته": مشبط 1، 116.

— "... بسبب الظروف (الضغط الضريبي، ركود اقتصادي، مصائب حللت بالطائفة)، منعت السلطات الريبية، المعتمد، والنكيديم، تحضير الوجبات الغذائية الفاخرة التي تقدم في مناسبات الاحتفالات العائلية... واتخذت الإجراءات التالية، يطبق العقاب في غرامات على الأغنياء والقراء الذين يقتربون بفوائد ربوية لاحترام العادات وتقليد إخوانهم الأثرياء... وكل من كانت له العادة في تنظيم الختایم لأطفاله في عشية شبوعوت، وفي أعياد، مرخص له بتحضير وجبة واحدة ووحيدة يتتجنب فيها الدجاج والحمام وأي نوع من الدواجن، والشيء نفسه بالنسبة لوجبات العرس والختان، وافتداء المولود الجديد... إلخ؛ فكلها ممنوعة في السبت والعشاوي، وتستهلك صحون الدواجن المبعوثة، باستثناء الصحون المخصص للمتزوجين الجدد في موعد عائلية فقط...": كرم حمر 45، 1688.

²⁵- زوز: عملة نقديّة فضية تعود إلى إزمنة المشنا، وتساوي تعربياً 3,5 غرام من الفضة.

خاتمة:

لقد عاش اليهود في بلاد المغرب حياة سادها التعايش والتسامح في علاقتهم بال المسلمين في المغرب، وإن حكمتهم علاقات اجتماعية بناء على فتاوى وقوانين يصدرها مجلس الطائفة.

وإذا كانت حركة التویر الأوربية قد دعت منذ ظهورها إلى اعتماد العقل، ومحاربة مبادئ الكنيسة، وتجاوز كل امتياز ديني، فإن ثمة أفكاراً جديدة بدأت تتسرب إلى ملأّات اليهود وحاراتها الضيقة، حيث بدأ اليهود يشعرون بضيق في عالم الحاخامات، ما أدى إلى ظهور حركة تثقيف عصرية تدعو إلى الاندماج في الشعوب الأخرى والتعايش معها.



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com